جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

التجديد في علم الكلام

" إشكالياته ودواعيه ومجالاته "

الدكتور

أشرف هاشم صديق جمعه

مدرس العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

التجديد في علم الكلام " إشكالياته ودواعيه ومجالاته "

أشرف هاشم صديق جمعه
قسم العقيدة و الفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية.
الإيميل الجامعي: ashrafgomah.adv@azhar.edu.eg

ملخص البحث

مصطلح التجديد في علم الكلام من المصطلحات المستحدثة في فكرنا المعاصر، الذي اضطرتنا إليه تداعيات العصر، نظراً لتقدم العلوم الطبيعية و ظهور بعض التيارات التي من شأنها أن تثير الشبهات حول عقيدتنا الإسلامية، والدعوة إلى التجديد وليدة النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. ويعنى التجديد في علم الكلام: تخليصه من العوالق التي علقت به على مدار أكثر من ألف عام، وإظهاره بصورة تتناسب مع مستجدات العصر، حتى يتسنى له القيام بدوره المنوط به كمنافح عن العقيدة الإسلامية في وجه كل مغرض، وخصوصاً في عصرنا الراهن الذي تموج فيه شبهات الإلحاد والهجمات التي تبغي النيل من المسلمين ومن دينهم. للتجديد في علم الكلام أسبابه الداعية إليه والباعثة عليه، وأهم دواعيه انتزاعه من وطأة النشأة التاريخية والعوامل المصاحبة لها، وتخلصيه من هيمنة الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو عليه. لن يتحقق التجديد في علم الكلام إلا إذا تجدد بنائه المعرفي المكون من موضوعاته ومسائله ولغته والمناهج المتبعة فيه.

الكلمات الافتتاحية: علم الكلام، التجديد، أصول الدين، التوحيد.

Renewal in Theology
" Its Problems, Causes and Fields "

Ashraf Hashem Siddiq Jumaa

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Menoufia
Email: ashrafgomah.adv@azhar.edu.eg

Abstract:

The term renewal in theology is one of the new terms in our contemporary thought, which we were forced to by the repercussions of the times, due to the progress of the natural sciences and the emergence of some currents that would raise suspicions about our Islamic faith. The call for renewal was born in the second half of the nineteenth century. Renewal in theology means: ridding it of the plankton that have stuck with it for more than a thousand years, and showing it in a manner commensurate with the developments of the times, so that it can play its role as a defender of the Islamic faith in the face of all tendentious. Especially in our current era, which is rife with suspicions of atheism and attacks that seek to harm Muslims and their religion. The renewal in theology has its reasons calling for it and motivating it, and the most important motives are extracting it from the weight of historical origin and the accompanying factors, and ridding it of the dominance of Greek philosophy and Aristotle's logic on it. Renewal in theology will not be achieved unless its cognitive structure consisting of its topics, issues, language and curricula is renewed

Keywords: Theology, Renewal, Fundamentals of Religion, Monotheism.

الحمد لله الذي تقدست ذاته، وتنزهت صفاته، وتعالت أسماؤه، الأول الذي لا بداية لوجوده، والآخر الذي لانهاية لبقائه، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، الواحد الذي لا تعتريه الكثرة أو التعدد في ذاته أو صفاته أو أفعاله، العالم الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم السر والنجوى، القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ بل الأرض جميعاً قبضته، والسماوات يوم القيامة مطويات بيمينه، المريد الذي يفعل ويختار. (ﷻ) له الخلق والأمر، وله الملك والحكم لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، لا شريك له في الملك ولا مثيل له من الخلق: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(١).

وأصلى وأسلم على سيد خلقه وخاتم أنبيائه ورسله، أقام الله به الحجة، وأزال به الشبهة، وألزم به المحجة، وأقام به الملة والأمة. وعلى آله وصحبه وعلى جميع أنبيائه ورسله صلاة وسلام دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإنه من غير المقبول أن يظل علم الكلام بكل أركانه ومكوناته على نفس النمط الذي كان عليه لحوالي عشرة قرون خلت، لذلك أصبح لتجديد علم الكلام دواعي عديدة وملحة؛ ذلك أن هذا العلم إنما هو ناشئ لغاية نصرة العقيدة الإسلامية إثباتاً لحقائقها ورداً للشبهات الواردة عنها، وستبقى هذه الغاية قائمة ما دامت الأسباب التي أوجدتها عند النشأة هي نفسها قائمة اليوم هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإن الدعاوى إلى التجديد في علم الكلام قد كثُرت وفق أيدولوجيات متعددة بمناهج مختلفة، وهذه الكثرة استوجبت الوقوف على حقيقتها وغايتها.

---

(١) **سورة الشورى:** الآية ١١.

والتجديد الذي تقف من خلفه تلك الدعاوي ويجرى التركيز عليه في المحافل الفكرية والدينية المعاصرة يرجع سببه لما تتعرض له العقيدة الإسلامية في المرحلة الراهنة من عمر الأمة الإسلامية. لذا تولدت لدى المفكرين المسلمين الدواعي إلى ضرورة البحث عن طريقة جديدة في بيانها والاستدلال على حقائقها ودفع الشبهات الواردة على أركانها، ولا يكون ذلك إلا من خلال التجديد في العلم الذي يعرضها ويدعو إليها، وهو علم الكلام أو علم العقيدة.

سبب اختيار موضوع البحث:

النهوض والارتقاء بعلم الكلام، وكسر الجمود الذي استولى عليه لقرابة عشرة قرون من الزمان، ومحاولة الارتقاء بموضوعاته ومسائله ومناهجه ليستطيع الصمود في مجابهة ما يثار ضد الدين من شبهات حديثة.

تساؤلات البحث

متى بدأت الدعوة إلى تجديد علم الكلام ومن هم أشهر الداعين إليها؟ وما هي الآليات اللازمة لتطوير علم الكلام والتجديد فيه؟ وهل التجديد في علم الكلام تجديد في العلم أم تجديد في المعلوم؟

إشكاليات البحث

كيف يتسنى لنا التجديد في علم أصول الدين أو علم العقيدة؟ أليس التجديد فيه تجديد في العقيدة وفى أصول الدين الثابتة؟ وإن وُجد تجديد فما هي علاقة علم الكلام الجديد بالقديم؟ أهي التباين والاختلاف في الغاية والموضوع والمسائل بحيث يصير الكلام الجديد علماً مغايراً للقديم ولا اشتراك بينهما إلا في التسمية؟ أم أن التجديد يكون بإضافة بعض المسائل لموضوعه فضلاً عن استخدام مناهج أخرى للتدليل على العقيدة قد أصبح لزاماً على العقل المسلم استخدامها مراعاة لمقتضى العصر مع الإبقاء على التراث الكلامي القديم؟

مناهج البحث

المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على استقراء واستقصاء وتتبع كل الآراء التي ذكرها العلماء والباحثون حول موضوع التجديد في علم الكلام.

المنهج الوصفي: من خلال تناول التعاريف والمفاهيم الخاصة بتجديد علم الكلام.

المنهج التحليلي: الذي يقوم على تحليل وشرح المواضيع والقضايا المتعلقة بالتجديد في علم الكلام والآراء الواردة فيه.

المنهج التاريخي: لتتبع آراء أئمة المتكلمين قديماً في القضايا التي أثير الكلام حول تجديدها في عصرنا الراهن، كلما دعت الحاجة إليه.

محتويات البحث

يتألف البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة و قائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

المقدمة تناولت فيها نبذه عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلاته، وإشكالياته، والمناهج المستخدمة فيه.

- **المبحث الأول:** معنى التجديد ووقت ظهوره الدعوة إليه.
- **المبحث الثاني:** إشكاليات التجديد.
- **المبحث الثالث:** دواعي التجديد.
- **المبحث الرابع:** مجالات التجديد
- **الخاتمة** وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث. وقد زيلتها بقائمة للمصادر والمراجع العربية وفهرس للموضوعات.

المبحث الأول
معنى التجديد ووقت ظهور الدعوة إلية

يعد علم الكلام من أبرز العلوم الإسلامية وأجلها، فهو انعكاس لمنهج التفكير الإسلامي وتجلياً من تجلياته العقلية، فضلاً عن كونه دليلاً حياً على أصالة العقل المسلم المنبعثة من النصوص الدينية التي تدعو إلى العلم واستعمال العقل. وقبل الشروع في المقصود وتعريف التجديد المنشود ووقت ظهور الدعاوى إليه يجب علينا أن نقوم بتعريف علم الكلام حتى تتم الفائدة ويتسنى لنا المطلوب.

وقد عرفه القاضي "عضد الدين الإيجي" بأنه: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة"(١).

وعرفه ابن خلدون بأنه: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"(٢).

فعلم الكلام – بناءاً على تعريف القدماء له كالإيجي وابن خلدون – يهدف إلى إقامة الأدلة العقلية والحجج على صحة العقائد الدينية ودفع شبه المغرضين عنها.

وتعريف علم الكلام لدى المعاصرين لم يخرج عن سياقه الذي وضعه فيه القدماء، فالشيخ "محمد عبده" يعرفه بأنه: "علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى

---

(١) **المواقف:** عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، الناشر دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ج١، ص٣١.

(٢) **مقدمة بن خلدون:** عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق د. على عبد الواحد وافى، الناشر لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية، ١٩٦٥، ج٣، ص١١٦٩.

عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم"[١].

أولا: معنى التجديد

والتجديد في اللغة مصدر جدد: وجَدَّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً، صَارَ جَدِيداً، وهو نَقِيضُ الخَلَق"[٢]، و"أَجَدَّ ثوباً واسْتَجَدَّه وثيابٌ جُدُدٌ مثل سَرِيرٍ وسُرُرٍ وتجدَّد الشيءُ صار جديداً وأَجَدَّه وجَدَّده واسْتَجَدَّه أي صَيَّرَهُ جديداً ... والأَجَدَّانِ والجديدانِ الليلُ والنهارُ وذلك لأَنهما لا يَبْلَيانِ"[٣].

والتجديد في علم الكلام يعنى: "عرض أصول الدين للناس بصورة جديدة تتسق مع معطيات زمانهم ومستجدات عصرهم، مع ما يلازم ذلك من إزالة لما اعترى مفهومهم من شوائب علقت أو شبهات طرأت لشوائب علقت أو طوارئ جدت"[٤].

وقيل أيضاً أن المقصود بتجديد علم الكلام: "تجديد منهج عرض علم العقيدة الإسلامية بحيث تستعمل فيه الأساليب التي تقنع العقلية المعاصرة، وتكافئ في القوة الأساليب التي يستعملها الخصم في الهجوم"[٥].

---

(١) **رسالة التوحيد:** الشيخ: محمد عبده، الناشر محمد على صبيح، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ١٩٦٥، ص٥.

(٢) **مختار الصحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، بدون رقم للطبعة، ١٩٩٥، ص ١١٩.

(٣) **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، الناشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج ٣، ص١٠٧.

(٤) **علم الكلام بين الأصالة والتجديد:** محمد خيري العمري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد ٣/أ، ٢٠٠٩، ص٢٤٢.

(٥) **الإيمان بالله وأثره في الحياة:** عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٣.

ويذهب الدكتور محمد عمارة إلى أن المراد بالتجديد في علم الكلام هو: "إزالة ما طرأ على الأصول والكليات والقسمات الأساسية مما يتعارض مع روحها ومقاصدها، الأمر الذي يكشف عن نقاء هذه الأصول ويعيدها بالعقلانية والاجتهاد كي تفعل فعلها في مستحدثات الأمور، وما يستجد في واقع الحياة، ففيه عودة لحقيقة الذات واستلهام لعوامل الثبات وقسماته، مع إضافات جديدة تعالج الجديد في إطار الأصول والثوابت، بحيث يتم للحضارة ذلك الاتساق الذي يجعل حاضرها الامتداد المتطور للقسمات الأصلية والثوابت الجوهرية في بنائهم القديم"(١).

من خلال التعريفات السابقة لمعني التجديد يتبين لنا أن التجديد المنشود في علم الكلام يعنى تخليصه من العوالق التي علقت به على مدار أكثر من ألف عام، وإظهاره بصورة تتناسب مع مستجدات العصر، حتى يتسنى له القيام بدوره المنوط به كمنافح عن العقيدة الإسلامية في وجه كل مغرض، وخصوصاً في عصرنا الراهن الذي تموج فيه شبهات الإلحاد والهجمات التي تبغي النيل من المسلمين ومن دينهم.

إن الإسلام دين الأولين والآخرين، وهو باق إلى يوم القيامة، وصلاحيته لكل زمان ومكان أمر مسلَّم به لدى العقلاء، وبقاء الإسلام ومرونته سمتان بهما يستطيع مواكبة تغيرات العصر وكل العصور، ولمَّا كان علم الكلام آخذ على عاتقه مهمة إثبات العقيدة الإسلامية بإيراد الحجج لها ودفع الشبه عنها، لذلك كان لزاماً على القائمين عليه ألَّا يتوقفوا به عند حدود فترة زمنية معينة، فالواجب عليهم تجاه علم الكلام "تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة ويجيب عن الأسئلة الجديدة

(١) **الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الـدين:** د. محمد عمارة، دار الوحدة، بيـروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥، ص١٠.

والإشكالات المعاصرة التي تقتحم عالمنا الإسلامي، ونحن نرى أن معتنقي كل الأيدولوجيات يكرسون الجهود، ويرصدون الأموال، وينفقون الأوقات، من أجل تطوير منهجيات وأساليب وصيغ لطرح أفكارهم ومذاهبهم حتى تكتسب قوة القدرة على النفاذ إلى القلوب، والاستحواذ على العقول، ويستعينون بالعلوم الإنسانية المختلفة لترويج سلعهم وأفكارهم وإيحاءاتهم؛ وقد نجحوا في تحقيق أهدافهم نجاحاً مكّنهم من إحداث غزو ثقافي شديد التأثير على العقول والنفوس"[١].

ثانيا: وقت ظهوره الدعوة إلى تجديد علم الكلام

إن التجديد في علم الكلام أو علم الكلام الجديد[*] – إن جاز التعبير– من الأمور المستحدثة في فكرنا المعاصر والذي ألجأتنا تداعيات العصر إليه، نظراً لتقدم العلوم الطبيعية و ظهور بعض التيارات التي من شأنها أن تثير الشبهات حول عقيدتنا الإسلامية، والدعوة إلى التجديد وليدة النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وتذكر المصادر أن الدعوة إلى تجديد علم الكلام ظهرت بادئ أمرها في الهند على لسان المفكر المسلم سيد أحمد خان، حيث قال في خطاب له عا (١٨٦٩ م): إننا نحتاج اليوم إلى علم كلام جديد، نستعين به على إبطال التعاليم الجديدة، أو إثبات مطابقتها لمراتب الإيمان في الإسلام"[٢].

ثم جاءت بعد دعوة سيد أحمد خان للتجديد دعوة أخرى على يد مواطنة شبلي النعماني ت (١٩١٤م) من خلال كتابة المسمى "علم الكلام الجديد". وعلى خطى هذين المفكرين سار خلفهما وحيد الدين خان ت (٢٠١٢م) في كتابه

---

(١) **من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد:** محمد الهادى زيان، الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٥– ٦.

(٢) **الكلام الإسلامي المعاصر:** عبد الحسين خسروبناه، ترجمة محمد حسين الواسطي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ج ١، ص ٢٢.

"الإسلام يتحدى مدخل علمي للإيمان" حيث شدد على ضرورة التحرر من علم الكلام القديم لأنه لا يتناسب ومقتضيات العصر وتطورات العلم. فجاءت محاولاته عبارة عن توفيق بين العلم والدين(١).

وفى ذات الحقبة التاريخية ظهرت دعوتان للتجديد في باكستان على يد مفكرين هما: محمد إقبال ت (١٩٣١م) في كتابه "تجديد الفكر الديني في الإسلام"، وفضل الرحمن مالك ت (١٩٨٨م) حيث تناول التجديد في كثير من مؤلفاته مثل "الإحياء والتجديد في الإسلام" والإسلام والحداثة".

وفى خضم تلك الدعوات التي انتشرت في ربوع عالمنا الإسلامي داعية لتجديد علم الكلام لم يكن عالمنا العربي بمنأى عنها، فكانت أولى محاولات التجديد هي السمة البارزة في "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده ت (١٩٠٥م)، التي تناول فيها العقيدة الإسلامية وعلم الكلام بأسلوب لغوي واضح سهل، من حيث مفرداته وتراكيبه، بعيداً عن التعقيدات اللغوية ومصطلحات المتكلمين التي يصعب على عوام المسلمين فهمها.

ثم ظهرت دعوة أخرى للتجديد على يد الشيخ أمين الخولي ت(١٩٦٦) من خلال مؤلفاته "المجددون في الإسلام"، و"مناهج التجديد"، حيث كانت السمة الغالبة في مؤلفاته هي "التأكيد على التجديد في العقائد من خلال التجديد في علم الكلام. ويمكن اعتبار علم الكلام بمثابة الفلسفة الإسلامية الحقة، والتعبير الأصيل عن روح الحضارة الإسلامية"(٢).

---

(١) **علم الكلام الجديد وتجديد الخطاب الديني:** نجاح لعور، سهير لعور، مجلة الأهواز لدراسات علم اللغة، ٢٠٢٢م، العدد ٤، مجلد ٢، ص٤٢.

(٢) **آفاق التجديد في فلسفة أمين الخولي:** يمنى طريف الخولي، بحث منشور بموقع "معنى" على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٧ أكتوبر ٢٠٢٢، (https://mana.net/١٠٦٤٤). وينظر أيضاً: أمين الخولي والأبعاد الفلسفية=

ثم بعد ذلك كان دعوة التجديد على يد الشيخ محمد عبدالله دراز ت (١٩٥٨) في مؤلفاته حتى دعاه البعض بفيلسوف القرآن، "والحق أنه لا يكاد يخلو عمل فكرى من أعمال دراز من نظرات تجديدية ثاقبة، تتأسس على هضم عميق للثقافة الإسلامية"(١).

"وكتب هؤلاء الأساتذة(٢) والشيوخ توجب تجديد وتطوير الفكر الإسلامي، وتدعو علماء الأمة إلى الاشتغال على هذا الشق التجديدي باعتباره مصدر وحدتها. فالدنيا تتطور وتتغير في كل العلوم والمعارف؛ ولأن الجمود يؤدي حتما إلى التخلف والركود في كل شيء يتصل بالتفكير الإنساني"(٣).

والأزهر الشريف – حماه الله – كحارس للعقيدة الإسلامية وحامل لواء الإسلام في مصرنا وعالمنا العربي والإسلامي لم يكن بمعزل عن الواقع الذي أصبح من ضروریاته التجديد في علم الكلام، فكان صاحب دعوة للتجديد، ففي عام ١٩٩١ انعقد مؤتمر بعنوان "نحو علم كلام جديد" بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالقاهرة، برعاية كريمة من شيخ الأزهر الإمام الأكبر

=للتجديد: يمنى طريف الخولي، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ٢٠١٤م.

(١) **فيلسوف القرآن محمد عبد دراز:** محمد مختار الشنقيطي، دار المشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص ٩٤.

(٢) **هناك دعوات أخرى للتجديد نادى بها كثير من المفكرين مثل:**

١- د/ عاطف محمد العراقي.

٢- د/ حسن حنفي.

٣- المفكر فهي جدعان.

(٣) **الحاجه إلى التجديد في علم الكلام:** يوسف القسطاسي، مجلة ذخائر للدراسات الإنسانية، الناشر مركز فاطمة الفهرية للدراسات والنشر، المغرب العدد السابع، ٢٠٢٠، ص ٣٦٣.

الأستاذ الدكتور أحمد الطيب – حفظه الله – و بالاشتراك مع الجمعية الفلسفية المصرية، وبعض أقسام الفلسفة بالجامعات المصرية[١].

ولم تكن الدعوة لتجديد علم الكلام حكراً على أهل السنة وحسب، ففي الأوساط الشيعية ظهرت دعوات كثيرة للتجديد في علم الكلام "ففي إيران كانت لبداية ظهور أفق جديد في التفكير الديني في آثار محمد حسين الطباطبائي ت (١٨٩١م) وشروح تلميذه مرتضى مطهري ت (١٩٧٩م)، حيث كتب هذا الأخير تصورات أولية لتحديث علم الكلام وترسيم حدود مفهوم علم الكلام الجديد، كما لا يمكن إنكار مجهودات واجتهادات محمد باقر الصدر ت (١٩٨٠م) في هذا الميدان المعرفي الكلامي، حين أصدر كتاباً له بعنوان فلسفتنا في محاولة منه لتدوين علم كلام فلسفي"[٢].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الدعوات للتجديد في علم الكلام كثيرة على جميع الأصعدة والمستويات، فمنها الدعوات الفردية للمفكرين المسلمين سواء من السنة أو الشيعة من خلال مؤلفاتهم، ومنها دعوات المؤسسات الدينية والمؤسسات التعليمية بإقامة المؤتمرات والندوات. وبالجملة نستطيع أن نقول أنه "منذ أكثر من قرن مضى، أي منذ عام (١٢٠٠هـ) وجدنا أصواتاً في المحيط الإسلامي تدعو إلى تجديد علم الكلام، بمعنى إصلاحه وتوظيف العقيدة لتصدي للمشاكل التي تعيشها الأمة حضارياً وفكرياً ولاسيما بعد الغزو الفكري الغربي من خلال ما يروجه من تيارات متنوعة ومتناقضة مع خصوصيات الأمة الدينية والثقافية"[٣].

---

(١) **ينظر: الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل:** يمنى طريف الخولي، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون رقم للطبعة وبدون سنة الطباعة، هامش ص١١.

(٢) **علم الكلام الجديد وتجديد الخطاب الديني:** نجاح لعور، سهير لعور، ص ٥.

(٣) **الحاجة إلى التجديد في علم الكلام:** يوسف القسطاسي، ص ٣٦٣.

المبحث الثاني
إشكاليات التجديد في علم الكلام

إن التجديد في علم الكلام يثير إشكاليات عدة نظراً لارتباطه بالعقيدة حيث إنها أمر ثابت لا يعتريه تغيير أو تبديل، إذن كيف يتسنى لنا التجديد في علم أصول الدين أو علم العقيدة؟ أليس التجديد فيه تجديد في العقيدة وفى أصول الدين الثابتة؟ وإن وُجد تجديد فما هي علاقة علم الكلام الجديد بالقديم؟ أهي التباين والاختلاف في الغاية والموضوع والمسائل بحيث يصير الكلام الجديد علماً مغايراً للقديم ولا اشتراك بينهما إلا في التسمية؟ أم أن التجديد يكون بإضافة بعض المسائل لموضوعه فضلاً عن استخدام مناهج أخرى للتدليل على العقيدة قد أصبح لزاماً على العقل المسلم استخدامها مراعاة لمقتضى العصر مع الإبقاء على التراث الكلامي القديم؟

لم يسلم علم الكلام التقليدي من النقد لاسيما أنه وُلد بين مؤيد ومعارض، وعلى غرار ما وُجه من نقد إلى علم الكلام التقليدي نجد أنه عند التطرق إلى الحديث عن قضية التجديد يتمثل النقض الموجه له في صورة إشكاليات.

الإشكالية الأولى: التي تثار كيف يتجدد علم موضوعة العقيدة، أليس التجديد في علم الكلام تغيير في العقيدة؟ ولحل هذه الإشكالية نقول- مستعينين بالله -:

من المعلوم أن أصول العقيدة الإسلامية التي أجمع سلفنا الصالح (ﷺ) على وجوب الإيمان بها والتي تعتبر من الثوابت مما لا مجال فيها لرأى أو اجتهاد كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر[1]؛ لأن هذه

(١) قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة – ٢٨٥). وجاء في حديث الإيمان. قوله (ﷺ) الإيمان: (أن تؤمن=

الأصول جاءت بها النصوص الشرعية في القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة وهما ثابتان لا يتغيران، وهذه الأصول تعتبر محل اتفاق بين المتكلمين على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم، وتتفرع عن هذه الأصول الإيمانية مسائل هي التي تعتبر محل الخلاف بين المتكلمين، لأنها محل للرأي والاجتهاد كما هو معلوم في مسألة علاقة الذات بالصفات. فعلم الكلام "يقوم على ركزتين، إحداهما ثابتة بذاتها، والثانية متحولة باستمرار، فالوحس شيء ثابت مقدس سماوي، وعلم الكلام هو الكفيل بعرض مضامينه على المخاطبين المتمتعين بهوية جماعية تاريخية متحولة، وتطورات الذهن واللغة البشرية حقيقة تاريخية صارمة لا يصح إنكارها"(١).

فعلم الكلام يعتبر أداة للتعبير عن العقيدة، فضلاً عن كونه مدافعاً عنها، وهذه الأداة لابد أن تطالها يد التطوير والتحديث مراعاة لحال المخاطبين الذين اصطبغوا بصبغة العصر من التحديث في العلوم ومنهاجها ووسائلها ومسائلها، و علم الكلام من جملة هذه العلوم، والتجديد فيه ليس تجديد في الدين حتى وإن سمى بعلم التوحيد أو علم أصول الدين.

"إن مصطلح أصول الدين يطلق بوصفه صفة لمسائل معينة، أجمعت الفرق والمذاهب على أنهما من المسائل التي تتوقف عليها صحة الدين، سواء من العقديات أو الفقهيات. ويطلق أيضاً بوصفه اسماً لعلم الكلام، والعقيدة،

=بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ج١،ص٣٦.

(١) **الهندسة المعرفية للكلام الجديد:** أحمد قراملكي، ترجمة: حيدر نجف وحسن العمرة، دارى الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص١٤٧.

والتوحيد، وغير ذلك من التسميات التي اتخذت مسائل العقائد موضوعاً لدراستها...إن مصطلح أصول الدين إذا أطلق بالمعنى الأول فلا إشكال في عد المسألة الموصوف بها قطعية لا اجتهاد فيها، سواء كانت من العقديات أم الفقهيات، أما إذا أطلق بالمعنى الثاني فلابد فيه من التفصيل قبل التنزيل؛ إذ ليست كل مسائل الكلام والعقيدة والتوحيد على درجة واحدة، فمنها ما يرقى إلى مرتبة ينال بها صفة أصول الدين، مثل أصل التوحيد والنبوة والمعاد ومنها ما يتوسط إلى مرتبةٍ ينال بها صفة فروع الدين العقدية، مثل الصفات والرؤية... بل منها ما يتدنى إلى مرتبةٍ لا يستحق معها لا صفة الأصول ولا صفة الفروع، مثل المسائل الدقيقة التي استعان بها المتكلمون في الاستدلال من الطبيعيات"(١).

إن تجديد علم الكلام هو تجديد في العلم وليس تجديد في المعلوم، وشتان بين العلم والمعلوم لاختلاف ماهياتهما، فللعلوم عموماً موضوعات ومناهج غالباً ما تحتاج إلى تجديد نظراً لإلقاء التاريخ عليها بظله واصطباغها بصبغته، وهى في جملتها فكر أنتجه العقل المسلم، "أما الدين فهو هدي أزلي خالد لا مكان فيه للتجديد، والذي يتجدد ويتقادم إنما هو الفكر الإسلامي، والفكر الإسلامي إنما هو التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة، أما عقل الجيل من المسلمين الذين يضطلع بالتفكير في الإسلام فهو يتكيف بنوع وكمية المعارف العقلية، والتجارب التي يحصل عليها في كل زمان ومكان، وإذا ضاقت هذه المعارف ضاق، وإذا اتسعت اتسع، ولأنه يتكيف وينفعل بالظروف الراهنة التي تحيط به، وبالحاجات التي يحسها الناس وبالوسائل التي تتيحها له ظروف الحياة، فالفكر الإسلامي هو التفاعل بين عقلنا المتكيف بهذه العلوم المنفعل بهذه الظروف مع الهدى الأزلي الذي يتضمنه الوحي والذي بينه النبي (ﷺ)"(٢).

---

(١) **ضرورة تحديث علم الكلام ومستوياته:** ياسين السالمي، مجلة إسلامية المعرفة، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد٩٠، ٢٠١٧، ص ٦.

(٢) **تجديد الفكر الإسلامي:** حسن الترابي، دار القرافي للنشر والتوزيع، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص٤.

ومما يسبق يتضح لنا حل تلك الإشكالية وأن التجديد في علم الكلام ليس تجديد في الدين أوفى أصوله، وإنما يكون في العلم الذي أفرزه العقل المسلم نتيجة لإقامة الدليل على صحة العقيدة.

الإشكالية الثانية التي تثار حول تجديد علم الكلام. تدور حول علاقة علم الكلام الجديد بالقديم. ومن يستقرأ آراء الباحثين والمتخصصين في علم الكلام نجد أنهم انقسموا حول العلاقة بين علم الكلام القديم الجديد وكيفية التجديد إلى عدة آراء بيانها كالتالي:

الرأي الأول: يرى أن الكلام الجديد لا يشارك الكلام القديم أو التقليدي إلا في اللفظ والعنوان، فالكلام الجديد علم حديث الظهور مستقل تماماً، ولا علاقة له بعلم الكلام الدارج في الثقافة الإسلامية القديمة.

الرأي الثاني: يذهب إلى أن إطلاق صفة الجديد على علم الكلام الحالي، هو في الواقع من باب التسامح والمجاز، فالكلام الجديد هو في ذاته الكلام التقليدي من حيث أضلاعه وأبعاده، ولا يختلف عنه إلا في اشتماله على مسائل جديدة لم تكن سابقاً، فالجدة من وجهة النظر هذه لا مبرر لها سوى بعض المسائل الكلامية الجديدة التي تطرح في صورة شبهات، يتصدى لها المتكلمون لتفنيدها"[1].

الرأي ثالث: يذهب إلى أن "تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضمِّ مسائل جديدة فحسب، وإنَّما يتَّسع ليشمل التجديد في: المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة"[2].

---

(١) **الهندسة المعرفية للكلام الجديد:** أحمد قراملكي، ص ١١٠.

(٢) **علم الكلام ضرورات النهضة ودواعي التجديد:** عبد الجبار الرفاعي، مجلة الحياة الطيبة، لبنان، ص ٥٣. وانظر: علم الكلام الجديد دراسة في المفهوم والمنهج: يونس ريحان، المجلة الدولية الأردنية أريام للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢١م، المجلد الثالث، العدد الثالث، ص ٩.

إن السبب الذي جعل أصحاب **الرأي الأول** يذهبون إلى أن علم الكلام الجديد يتخلف عن علم الكلام القديم؛ هو أنهم يرون أن موضوع علم الكلام الجديد غير موضوع العلم القديم، فموضوع العلم الجديد ليس – كسابقه – منحصر في إقامة الدليل على صحة العقيدة ودفع الشبهات عنها، وإنما في دراسة التجربة الدينية في ذاتها دراسة عقلية محضة بمعزل عن الدليل النقلي، لذلك فإن علم الكلام الجديد –من وجهة نظر هؤلاء– "يسعى إلى تجاوز الوظائف التقليديّة والمؤسّسة لعلم الكلام التقليدي والتي تتجلّى أساساً في الوظيفة العقائديّة ... والدفاع عن المضامين والأنساق العقديّة ضد الشبهات الدخيلة والتأويلات الهرطقيّة...لا شك أن التحول الأعمق الذي أنتجه البراديغم – أي النموذج – الكلامي الجديد هو تجاوز الدفاع والمنافحة عن المعتقدات إلى دراسة التجربة الدينية والإيمانية، ليس انطلاقا من المحددات أو الضوابط الاعتقادية...بل انطلاقاً من مميزات الإيمان كتجربة تتعالى عن مجال العقل الفقهي و العقل الفلسفي ... لكنّها لا تتأسس ضد العقل"(١).

من وجهة نظرنا نرى أن أصحاب هذا الرأي قد جانبوا الصواب، لأن التجديد في علم الكلام "لا يعني القطيعة مع الكلام القديم، ولكنه يعني تغيُّراً حدث له في جوانب من داخله. وهو تطور شمل الموضوع والمنهج وحتى الوظيفة...فكأنما هو ثورة أو حركة إصلاحية من داخل العلم نفسه"(٢).

إن علم الكلام الجديد ليس إلا امتداداً لعلم الكلام القديم، و"المقصود بتحديث علم الكلام ليس إبطال علم الكلام القديم، وإقامة علم آخر جديد محله، وإنما تحديثه

---

(١) **علم الكلام الجديد في إيران:** رشيد سعدى، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٨، ص٤.

(٢) **الكلام المعاصر وضرورة الانتقال من الإيديولوجيا إلى الأبستمولوجيا:** قاسم شعيب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٨، ص٥.

بالإبقاء على أصله، وتصحيح ما وقع فيه من أخطاء، وإضافة الجديد الذي يتناسب مع أصله، مما دعا الواقع إليه"[١].

وأما بالنسبة لأصحاب **الرأي الثاني** فموقفهم من تجديد علم الكلام على النقيض من أصحاب الرأي الأول فهم يرون ارتباط علم الكلام الجديد بالقديم، والتجديد يكون بإضافة إلية بعض المسائل "فعلم الكلام الجديد...لا يختلف عن الكلام القديم سوى أن الوظائف التي كان يقوم بها الكلام القديم – ومع ظهور حشد مختلف من الشبهات الجديدة – قد تنوعت وأخذت مجالات أخرى لم يعهدها الكلام القديم فعلم الكلام الجديد هو علم الكلام القديم لكن بشكل متكامل أكثر، أو هو مرحلة متأخرة من الرشد العلمي والنضج الفكري لعلم الكلام، وهو لا يختلف عن الكلام القديم إلا في مسائله "[٢].

من وجهة نظرنا الرأي الثالث هو أصوب هذه الآراء وأجدرها و أولاها بالقبول؛ لأن الارتباط – بناءاً على رأيهم – بين علم الكلام الجديد والقديم قائم هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى أن نظرتهم للتجديد نظرة أعم وأشمل من نظرة أصحاب الرأي الثاني، فعلم الكلام كغيره من العلوم و"لكل علم منظومة خاصة به تميزه عن سواه، وهى مكونة من ستة أركان تعرف بالأضلاع المعرفية، وهى: تعريفه، موضوعه، غايته، لغته، ومنهجه، ومسائله. وقد يحصل تغير ما في ضلع أو أكثر من أضلاعه فلا يتغير بذلك العلم نفسه، ويبقى محافظاً على كيانه، غاية ما في الأمر يعد ما طرأ عليه نوعاً من التطور والتوسع "[٣].

---

(١) **ضرورة تحديث علم الكلام ومستوياته:** ياسين السالمي، ص ٢١.

(٢) **دراسات في الفكر الديني:** الشيخ: محمد الشقير، دار الهادي للطباعة والنشر و التوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٥.

(٣) **علم الكلام الجديد نشأته وتطوره:** إبراهيم البدوي، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية،٢٠٠٩، ص ٥١.

مما سبق يتضح لنا أن علم الكلام الجديد ليس إلا امتداداً لعلم الكلام القديم، وأنه ليس مغاير له، وأن التجديد يكون بإضافة بعض المسائل لموضوعاته، وتحديث مناهجه، فعلم الكلام الجديد ما هو إلا "إبقاء وإلقاء وارتقاء"[1] فالإبقاء يكون بعدم التخلي عن الكلام القديم وموضوعاته التي تمثل أصول الإيمان، والإلقاء يكون بنبذ الخلافات المذهبية المتعلقة بالفرعيات، والارتقاء يكون بالمناهج وإضافة المسائل التي تفرضها تداعيات العصر.

(١) **ضرورة تحديث علم الكلام ومستوياته:** ياسين السالمي، ص ٢١.

المبحث الثالث
دواعي التجديد في علم الكلام

التجديد في علم الكلام له أسبابه الداعية إليه والباعثة عليه، وفى هذا المبحث – إن شاء الله – سنعرض الأسباب التي من أجلها صار التجديد في علم الكلام أمراً ضرورياً إذا أردنا أن يعود علم الكلام لسابق عهده. وسيكون الحديث عن دواعي التجديد منحصراً في أمرين أولهما: النشأة التاريخية والعوامل المصاحبة لها، و ثانيهما: هيمنة الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو. والسبب في اقتصارنا على هذين الأمرين كداعيين لتجديد علم الكلام يرجع إلى كونهما الأعمدة الرئيسة لعلم الكلام، كما أن باقي الدواعي الأخرى – إن وُجدت – فعند التحقيق نجد أنها تعود في الأصل إليهما ومتفرعة عنهما.

أولا: النشأة التاريخية والعوامل المصاحبة لها

إن المنزلة الرفيعة والمكانة العالية لعلم الكلام أمور استوجبها من شرف موضوعاته وعظم قدرها، فلا أجل وأشرف من الدفاع عن العقيدة الدينية أمام المشككين والمغرضين، والدفاع عن العقيدة هي مهمة علم الكلام منذ نشأته إلى الآن، والدفاع عن العقيدة الدينية لم يكن السبب الوحيد في نشأته، "إن علم الكلام تحكَّم في نشأته وتطوره مجموعة ظواهر سياسية واجتماعية وثقافية داخلية وخارجية فكان نتاج البيئة التي صاحبته وأجاب عن الأسئلة والتحديات التي واجهته"(١).

وفى ذات السياق يقول الدكتور محمد صالح: "ارتبط علم الكلام في نشأته وتطوره بالواقع الإسلامي فجاءت المشكلات التي عالجها في عصر ازدهاره

(١) **علم الكلام بين الأصالة والتجديد:** محمد خيرى العمرى، ص٩.

من واقع حياتهم، فكان فكرهم معايشاً لواقعهم ومرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً، وقمة ارتباك الفكر بالواقع قيمة لها أهميتها في تقدم أي مجتمع وتطوره"[١].

المرجو من أي علم هو تلبيته لمطالبات واقعه؛ وهنا يكمن السبب في قبول العلماء لعلم الكلام القديم على الرغم مما أثير ضده من انتقادات، "فعلم الكلام – شأنه في ذلك شأن بقية العلوم– محكوم في كثير من تجلياته بالواقع، بل إن نشأة هذا العلم نفسها لم تكن سوى نتيجة للواقع الذي برزت أولى معالمه فيه"[٢]. وتعد الآراء السياسية من جملة الوقائع التي أثرت في نشأت علم الكلام حيث إنها كانت "وراء ولادة الكثير من الأسئلة والمعتقدات والآراء الكلامية وتفاعلاتها في الحياة الإسلامية، مثل ولادة أسئلة الخوارج حول الحاكميَّة بعد معركة صفين، وولادة القول الجبر والقدر في العصـــر الأموي"[٣].

إن تلبية علم الكلام لمتطلبات عصره ومواكبته للأحداث والوقائع ظلت ملازمة له منذ وقت نشأته إلى نهاية القرن السابع الهجري، ومن ثم كانت هذه الحقبة الزمانية فترة ازدهار لعلم الكلام، ثم أعقب هذا الإزهار ركود لازم علم الكلام حتى أصبح الجمود هو السمة البارزة فيه، فمنذ بداية القرن الثامن الهجري إلى عصرنا الراهن "خيم على علم الكلام الجمود والتقليد وساد أسلوب التقارير و الحواشي التي كتبت على الكتب القديمة وشروحها، فدعت الحاجة إلى ضرورة تجديد علم الكلام لكي يكون مواكباً للعصر ومسايراً للحياة من حوله وملبياً لاحتياجات العصر"[٤].

---

(١) **مدخل إلى علم الكلام:** محمد صالح محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيـــع، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ٢٠٠١، ص ١٠.

(٢) **ضرورة تحديث علم الكلام ومستوياته:** ياسين السالمي، ص ٤.

(٣) **علم الكلام الجديد:** عبد الجبار الرفاعي، الناشر مركز دراسات فلسفة الـــدين، بغـــداد، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ١٠.

(٤) **تجديد علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة:** د. خالد عبد العال أحمد، طبعـــة خاصـــة بالمؤلف، ٢٠١٩، ص ٧.

لقد عانى علم التوحيد في طوره المتأخر من التدهور والانحلال، ولم يقو أصحابه على إبداع فكر جديد، يواجه العصر ومستجداته، بل ظلوا في إطار البحوث التقليدية، وبنفس النمط التي أثيرت به في كتب الأسلاف، وظلوا يدورون به في هذا الفلك، فأصيب علم التوحيد بالجفاف، ولم يبدع فكراً جديداً له أثره في مواجهة تحديات الحضارة الحديثة، وما تفرزه من فلسفات وأيدولوجيات تهاجم الإسلام وتحاول جاهدة أن توقف مسيرته(١).

"في الوقت الراهن فقد ظهرت إشكاليات ومسائل لم تكن موجودة في السابق، كما اتضح أن هناك حقائق علمية تدعم التصورات العلمية الدينية، ولم يكن بالإمكان ظهورها إلى السطح إلا بعد التطورات العلمية الهائلة التي أحرزها الإنسان، كما أن الكثير من الشبهات القديمة عادت اليوم بلا موضوع، وفى المقابل سقطت بعض الأدلة والبراهين عن اعتبارها السابق"(٢).

والجمود الذي أصاب علم الكلام في عصره الأخير أدخله في ثُبات عميق وجعله في عزلة عن واقعنا المعاصر، ومن ثم بات عاجزاً عن حل ما يعصف بالمسلم من شبهات وتحديات لدينه ولعقيدته، كل هذه الأمور جعلت" بعض المفكرين المحدثين والمعاصرين يوجهون النقد إلى علم الكلام وأنه لا جدوى منه، حيث لا يجد فيه المسلم المعاصر ما يعينه على مواجهة واقعه المأزوم، وحل مشكلاته مجتمعاته المعاصرة، كما لا يوجد فيه أمل في مواجهة تحديات الحضارة الغربية، بما تفرزه من تيارات فكرية ومذاهب فلسفية يحمل بعضها جوانب إلحادية ترمى إلى هدم الإسلام"(٣).

---

(١) **ينظر: إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام:** محمد عبده، محمد صالح محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ١٩٩٨، ص ٧.

(٢) **الهندسة المعرفية للكلام الجديد:** أحمد قراملكي، ص ١٨٨.

(٣) **مدخل إلى علم الكلام:** محمد صالح محمد السيد، ص ٨.

إن الوقوف بعلم الكلام عند حدود أكثر من أربعة قرون مضت من الزمان ومحاولة الاستعانة به لمواجهة مشكلات حديثة الظهور نعيش في خضمها وفرضها واقعنا المعاصر يعد "انفصال عن الواقع، فعلى الرغم من أننا نجد علم الكلام في فترات ازدهار قد خاض في معارك طاحنة، أبلى فيها بلاء حسنا في مجال الدفاع عن العقيدة إلا أنه في عصوره الأخيرة بات يعرض التراث دون إبداع أو تجديد، ليقدم فيها العقائد الإسلامية في صورة مثالية منقطعة الصلة عن الواقع الإسلامي المعاش"[١] ويكمن انفصال علم الكلام عن واقعنا في أنه فكر أنتجه العقل المسلم قديماً لأجابه سؤال طرحه واقعه أو دحضاً لشبهة أثيرت في عصره، أما ما يطرح حالياً من أسئلة أو يثار من شبهات فيختلف في مضمونه ومحتواه عن الماضي حتى وإن توحَّد هدفهم وغايتهم "إن علم الكلام يعبّر عن فهم المتكلمين للعقيدة، وفهمهم، كأية معرفة بشرية، يصطبغ بطبيعة الزمان والمكان، والنمط الحضاري للحياة، ومستوى تطور العلوم والمعارف الأخرى"[٢].

ما وصل إليه علم الكلام من جمود ورقود أبعده عن حياة الناس بل وألجأهم إلى التصوف يستكملون منه ما عز عليهم إدراكه فيه، ولكن التصوف ميدان كثير المزالق، وشطحات السائرين فيه أكثر من سدادهم، كما أن الجدل الذي دار بين الفرق قديماً أبعد العلم عن هدفه الحقيقي، بل إنه أدخل المسلمين في شقاق لا حاجة لهم بها. وفى العصر الحديث لم تعد كتب علم الكلام القديم تصلح له نظراً لوجود مذاهب مادية جديدة، وحوارات جديدة وفهوم وعلوم جديدة[٣].

---

(١) **علم الكلام الجديد:** عبد الجبار الرفاعي، ص ١٨.

(٢) **المصدر السابق:** ص ١٩.

(٣) **ينظر: عقيدة المسلم:** الغزالي محمد، دار نهضة مصر، الجيزة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥ م، ص ٣ وما بعدها بتصرف.

"إن المنظومة المأثورة في الفكر العقدي اشتملت على العديد من المسائل والقضايا ذات الصلة بالعقدية الإسلامية أفرزتها ظروف واقعية انقرضت بانقضاء زمنها، فلم يبق اليوم مبرر لبحثها في الفكر العقدي الحديث، إلا أن يكون ذلك باعتبارها جزءاً من تاريخ الفكر الإسلامي، فقيمة البحث فيها قيمة تاريخية وليست قيمة واقعية تسهم في حل المشاكل الراهنة"(١).

وصفوة القول أن واقعنا في تغير مستمر، وهذا التغير لا يجعل لجمود علم الكلام وبقاءه على صورته القديمة – المحدودة بحدود الزمان والمكان والوقائع الاجتماعية والأحداث السياسية – أي داعي، لاسيما أنه العلم الذي يمنع التقليد، ويوجب النظر والاستدلال، ومن الواجب على القائمين لعلم الكلام والمهتمين به اليوم إحياءه وتجديده ليؤدي دوره في الحياة المعاصرة ويقدم الحلول والعلاج لمشكلات جديدة لم تكن موجودة وشبهات لم تكن معروفة من قبل.

ثانيا هيمنة الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو

من دواعي تجديد علم الكلام أيضاً تخليصه من هيمنة الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي عليه. فمن المعلوم أن علم الكلام أنتجه العقل المسلم دفاعاً عن عقيدته، فهو علم إسلامي يجمع بين العقل والنقل في منهجه، خلافاً للفلسفة التي تعتبر نتاجاً عقلياً خالصاً بمعزل عن الدليل النقلي، وعلم الرغم من النشأة الإسلامية لعلم الكلام وانحصار موضوعاته – بادئ أمره – في العقيدة الإسلامية إلا أنه لم يلبث أن اختلطت موضوعاته بموضوعات الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي بعد حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي.

---

(١) **واقعية المنهج الكلامي ودوره في مواجهة التحديديات الفلسفية المعاصرة:** عبد المجيد النجار، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد٦٠، ١٩٩١م.

وترجع أسباب قبول المتكلمين وإقبالهم على علوم اليونان إلى أنهم "أدركوا أن الدين بحاجة إلى أساس عقلي يقوم عليه، حتى يسهل الدفاع عنه، وبخاصة أنهم واجهوا خصوماً متسلحين بالعلوم الفلسفية والمنطق، فأدركوا أن الواجب يحتم عليهم أن يتسلحوا بنفس أسلحة الخصم، بل يتفوقوا عليهم في استخدام هذه الأسلحة، فكان هذا أيضاَ من الدوافع المهمة التي دفعتهم إلى تحصيل العلوم والفلسفة والمنطق"(١).

وتذكر المصادر أن المعتزلة هم أول من أدخل الفلسفة اليونانية في علم الكلام على يد شيوخها الأوائل، فالمعتزلة "كانوا من أوائل المدارس الكلامية التي اتجهت إلى الاطلاع على الفلسفة اليونانية، ولعل مرجع ذلك إلى نزعتها العقلية، التي هيأت لها من الحرية الفكرية ما يدفعها إلى الاطلاع على الثقافات الأجنبية، ويبدو أن اطلاع المعتزلة على الفلسفة اليونانية منذ أبى الهذيل العلاف...فقد عاصر ازدهار حركة الترجمة، واتصل بها كما اتصل بالثقافات الأجنبية، فإنه من أول المفكرين الذين أفسحوا للفلسفة مجالاً للتأثير في مذاهبهم الكلامية"(٢).

وغلبة الفلسفة اليونانية على مباحث علم الكلام انتقلت بعد العلاف إلى باقي شيوخ المعتزلة وأئمتهم، حتى صار الإلمام بها والدراية بمباحثها علامة على اقتدار المتكلم وموضع فخر، وعن ذلك يقول الجاحظ: "وليس يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكّنا في الصناعة، يصلح للرئاسة، حتّى يكون الذي يحسن من كلام الدّين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة. والعالم عندنا هو

(١) **مدخل إلى علم الكلام:** محمد صالح محمد السيد، ص ١٢٢.

(٢) **المصدر السابق:** ص ١٢٨.

الذي يجمعهما، والصيب هو الذي يجمع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال"[١].

لم يقف خلط علم الكلام بالفلسفة عند حدود مدرسة الاعتزال، وإنما تعداها إلى الأشاعرة على يد أبو حامد الغزالي، يقول ابن خلدون: "وأوّل من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزاليّ (رحمه الله) لغزالي (رحمه الله) وتبعه الإمام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم"[٢].

وسار على نهج الإمام الغزالي من خلفه من أئمة الأشاعرة ابتداءاً من الإمام فخر الدين الرازي ووصلاً إلى الإمامين عضد الدين الإيجي وتلميذه سعد الدين التفتازاني ومن، يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق: "وبعد ذلك توغل المتكلمون في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه واحداً، واختلطت مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر كما فعل البيضاوي المتوفى سنة (٦٩١هـ) في (الطوالع) وعضد الدين الإيجي المتوفى سنة(٧٥٠هـ) في كتاب (المواقف)"[٣].

ما ذكره الشيخ مصطفى عبد الرازق – من خلط موضوعات علم الكلام بالفلسفة اليونانية حتى سارت موضوعاتهم ومسائلهم واحدة – قد ذكره ابن خلدون في مقدمته، حيث يقول: "ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين،

---

(١) **الحيوان:** عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص ٣٢٢.

(٢) **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، ص ٥٩٠.

(٣) **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية:** مصطفى عبد الرازق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧، ص ٣٠٠.

والتبست مسائل الكلام، بمسائل الفلسفة، بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر. ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع، ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفهم"(١).

أدي اختلاط علم الكلام بالفلسفة إلى إدخال موضوعات إلى العقيدة ليس ثمة داعي لها، فضلاً عن المصطلحات الفلسفية التي أدخلها المتكلمون إلى علم الكلام وهى أمور من شأنها أن تنفر المسلم المعاصر منه لصعوبة فهمها، و قد لا يكون منها فائدة – من وجهة نظر البعض – في تقرير العقيدة، فقد "كان من نتائج ترجمة بعض كتب أفلاطون وبعض كتب أرسطو وبعض مصنفات الأفلاطونية الحديثة أن اصطنع المتكلمون أداة لهم، كما مزجوا بين موضوعات العقائد الإسلامية وبعض موضوعات الفلسفة، مع اصطناع مصطلاحات الفلاسفة، ثم خاضوا بعد ذلك في مسائل هي أقرب للفلسفة منها إلى العقائد، كالبحث في الجواهر والأعراض وأحكامها، وطبائع الموجودات، وغير ذلك من المسائل التي قد يكون لبعضها فائدة من حيث تقرير العقائد على وجه عقلي، وقد لا يكون للبعض الآخر منها أدنى صلة بهذا التقرير"(٢).

لقد اختلطت موضوعات الفلسفة اليونانية بعلم الكلام على الرغم من اختلاف منهجهما والغاية المرجوة منهما، فعلم الكلام علم ديني يهدف إلى إثبات العقيدة، فهو محدود بنصوص دينية منها المبتدأ وإليها المنتهى، أما الفلسفة اليونانية فهي علم عقلي يهدف إلى البحث في طبيعة الوجود. واختلاف الهدف والغاية بالنسبة لكل منهما جعل الجمع بينهما خروجاً بأحد العلمين عن مسارة، كما يؤدى إلى

---

(١) **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، ص ٥٩١.

(٢) **علم الكلام وبعض مشكلاته:** أبو الوفا الغنيمي التفتازانى، دار الثقافة للنشر والتوزيـــع، القاهرة، بدون سنة الطباعة ورقم للطبعة، ص ٢٤

اختلاف نظرتهما فضلاً عما وصلا إليه من نتائج لموضوع واحد قاما بالبحث فيه. يقول ابن خلدون: "واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته، وهو نوع استدلالهم غالباً. فالجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات، هو بعض من هذه الكائنات. إلا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم، وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل. وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته، ونظر المتكلم في الوجود من حيث إنه يدل على الموجود. وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فروضها صحيحة من الشرع، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية، فترفع البدع وتزال الشكوك والشبه عن تلك العقائد"[١].

وظهرت هيمنة الفلسفة اليونانية على علم الكلام على يد المتأخرين من المتكلمين في مادته ومناهجه، ففيما يتعلق بالمادة؛ فقد اختلط علم الكلام بإنتاج فلاسفة الإسلام واليونان في مباحث الإلهيات والطبيعة وغير ذلك، وكان ذلك في كثير من الأحيان بغرض مناقشة آراء الفلاسفة والرد عليهم إضافة إلى دعم المواقف الكلامية ببعض الأفكار الفلسفية، والتطلع لبناء ميتافيزيقا كاملة شاملة لنظرية الوجود من منظور إسلامي[٢]، أما من حيث المنهج فقد اعتمد معظم

(١) **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، ص٥٩٠.

(٢) **ينظر: المدخل إلى دراسة علم الكلام:** حسن محمود الشافعي، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص١١٦.

المتكلمين المنطق اليوناني، واستخدموا أساليبه الصورية إلى جانب المناهج الكلامية التقليدية"[١].

إن الفكر الإنساني سلسلة مترابطة عبر العصور والأزمنة، واستفادة المتكلمين وانفتاحهم على علوم الآخرين عامة وعلوم اليونان خاصة أمر لا حرج فيه ولا ضير منه فالحكمة ضالة المؤمن، وهذا في جملته أمر محمود، أما موضع الحرج وموطن النقد فيكمن في المكانة التي استحوذت عليها الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي في علم الكلام والمنزلة التي أنزلها لهم المتكلمون في علم الكلام، فلقد "قبل المتكلمين المنطق الأرسطي، وتعاملوا معه كمسلمات أساسية في البحث الكلامي، واستندوا إليه في بناء علم الكلام، وركزوا على القياس الأرسطي وأشكاله، كقوالب أساسية في الاستدلال على المقولات والمسائل والآراء، بحيث أضحى الخصمان يحاول كل منهما نقض حجة الآخر، بالتوكؤ على أساليب المحاججة الأرسطية ذاتها...لبث المتكلم منذ ترجمة المنطق الأرسطي حتى اليوم يعتبر مقولات المنطق ومناهجه في الاستدلال حقائق نهائية، يرقى بعضها إلى البديهيات التي لا نقاش فيها"[٢].

لا يستطيع أحد أن ينكر الفائدة التي عادت على الفكر الإسلامي من علوم اليونان كغيرها غيرها من العلوم التي استفاد منها المسلمون بعد ترجمتها، والذي ننكره هو أن التوسع في استخدام الفلسفة اليونانية والمنطق الصوري أدى بهم للبعد عن استخدام النص الديني و عدم تعويلهم عليه كتعويلهم على علوم اليونان لاسيما أن القرآن الكريم لم يخلو من الأدلة العقلية التي تقرر العقيدة، يقول المفكر محمد إقبال: "لقد كانت الفلسفة اليونانية قوة ثقافية كبرى في تاريخ الإسلام، ومع ذلك إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم، وفى مختلف مدارس

---

(١) **ينظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام:** على سامي النشار، الناشر دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٧، ص١٥.

(٢) **علم الكلام الجديد:** عبد الجبار الرفاعي، ص ٢٤.

المتكلمين التي ظهرت تحت تأثير الفكر اليوناني فستبرز لنا حقيقة ملفتة للنظر، وهى أن الفلسفة اليونانية التي عملت على توسيع آفاق النظر العقلي عند المفكرين المسلمين بشكل كبير أبهتت رؤيتهم للقرآن الكريم"[١].

إن هيمنة الفلسفة اليونانية على علم الكلام وسطوة منطق أرسطو عليه انحرف به عن غايته المنشودة وهدفه المرجو منه كحارس ومدافع عن العقيدة الدينية، فانفصال علم الكلام عن واقعنا سببه انشغال المتكلمين بقضايا ذهنية مجردة ليس لا تمت بأي صلة لواقعنا الذي يعج بمشكلات تعصف بحياتنا الدينية وبعقيدة المسلم المعاصر "إن إسراف المتكلمين في استعارة المنطق الأرسطي وتوظيف مفاهيمه في صياغة علم الكلام فيما بعد نجم عنه تشبع التفكير الكلامي بمنهج هذا المنطق، فانحرفت وجهته، وراح يفتش عن عوالم ذهنية مجردة بعيدة عن الواقع وتداعياته ومشكلاته، فتغلبت بالتدريج النزعة التجريدية الذهنية على المنحنى الواقعي في التفكير الكلامي، وتحول علم الكلام إلى مشاغل عقلية تتوغل في صناعة آراء ومفاهيم ومقولات لا علاقة لها بحركة الحياة وشجونها، وأمست مهمة المتكلم التفتيش في عوالم أخرى غير الحياة البشرية وعالمها، والتدقيق في مسائل افتراضية ترتكز على محاججات منطقية من دون أن تكون لها صلة بالواقع"[٢].

انحصار علم الكلام داخل أسوار المنطق الأرسطي جعله في معزل عن الواقع المعاصر للمسلم، لأن اهتمام المنطق الأرسطي في المقام الأول ينصب علي الشكل الخارجي للقياس العقلي بصرف النظر عن مدى مطابقته للواقع واتصاله به، خلافاً للدور المنوط بعلم الكلام أن يقوم به من حل للإشكالات

---

(١) **تجديد الفكر الديني في الإسلام:** محمد إقبال، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الكتاب اللبناني، بدون رقم للطبعة، ٢٠١١، ص ١٧.

(٢) **علم الكلام الجديد:** عبد الجبار الرفاعي، ص ٢٥.

ودحض للشبه التي تطرأ على عقيدة المسلم نابعة من واقعه، "فمن المعروف أنه ونتيجةً لتأثيرات المنطق الأرسطي، جعلت استقامة الفكر منفصلةً عن الواقع الخارجي العملي؛ لأن هذا المنطق يرى أنّ سلامة العمليات الاكتشافية العقلية تكمن في قدرتها على وضع القضايا والمعلومات في مكانها الذهني الصحيح للمساهمة في ضمان صحّة التوصل إلى النتيجة، وهذا يعني أنّ الهدف الذي يتوخّاه العقل الأرسطي هو الوصول العقلي إلـــى نتيجةٍ سليمة ذهنيـــاً دون النظر إلى التردّدات العملية لهذه النتيجة"(١).

على الرغم من "تجدد الحياة وتوالد مشكلات معرفية وعلمية متنوعة كل يوم في وعى الناس، إلا أن بنية علم الكلام ظلت تترسخ باستمرار في إطار ذلك المنطق وأدواته وأساليبه، وكأن كل شيء يتغير ما خلا آراء أرسطو، فإنها أفكار لا تقبل المراجعة والتقويم، لقد اتسعت مآسي الإنسان المسلم، واضطربت حياته، وتشوه وعيه، واهتزت منظومة معارفه، فلم يعد المنطق الأرسطي يفي بمقتضيات حياته المتجددة، خاصة إذا لاحظنا أن هذا المنطق لا يهتم بالواقع، وإنما ترتبط الحقيقة لديه بتناسق المعطيات والمفاهيم فيما بينها في الذهن، وإن كانت لا علاقة لها بالواقع، بل ولو كانت مخالفة للواقع"(٢).

يتضح لنا مما سبق أن إقبال المتكلمين على فلسفات اليونان ومنطقهم إبان عصر الترجمة جعل الفرصة سانحة والمناخ مهيأ لهما للتأثير في علم الكلام ابتداءاً بالموضوعات ومروراً بالمسائل ووصلاً إلى النتائج، وهو ما نأى بعلم الكلام عن غايته المنوطة به تجاه العقيدة هذا أمر، والأمر الآخر أنه أبعد الشقة بينه وبين عوام المسلمين، فعزلهم عنه كما انعزل عن واقعهم.

---

(١) **التجديد المنهجي في علم الكلام الإسلامي:** حيدر محب، مجلة الحياة الطيبة، بيـــروت، العدد السادس عام ٢٠٠١م. ص ٢٤.

(٢) **علم الكلام الجديد:** عبد الجبار الرفاعي، ص ٢٤.

المبحث الرابع
مجالات التجديد

لكل علم من العلوم النظرية بناء معرفي يتكون من موضوعاته ومسائلة المكونة له، ومناهجه المتبعة فيه، ومصطلحاته ولغته التي يكتب ويعبر عنه بها، بالإضافة إلى غايته المرجوة منه، وهذا البناء المعرفي هو مناط التطوير والتجديد في أي علم من العلوم إذا أُريد الارتقاء به وتحديثه، وهذا الكلام ينطبق على علم الكلام غير أن الهدف المرجو من علم الكلام لا يتغير ولا يتطور منذ نشأته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمهمته نصرة الدين والدفاع عن العقيدة وهى أمور لا تجديد ولا تطوير فيها، وإنما في السبل المؤدية لها والوسائل الموصلة إليها.

وفى هذا المبحث – بحول من الله وقوة – سنتناول مكونات علم الكلام التي يجب علينا تجديدها إذا أردنا له أن يستعيد مكانته في صدارة العلوم الدينية كسابق عهد منذ نشأته إلى حوالى أربعة قرون خلت من الزمان.

أولا التجديد في الموضوعات

من يستقرأ تاريخ علم الكلام ونشأته يتبين له أنه ظهر بادئ أمره كمسائل؛ المسألة تلو الأخرى، وما لبثت هذه المسائل أن أضحت موضوعات صارت فيما بعد أبواباً وفصولاً لعلم مكتمل الأركان والجوانب إبان العصر العباسي، والعصر الذي تمت فيه موضوعات علم الكلام كان عصر ازدهار للحضارة الإسلامية، لذلك كانت الصورة المشرقة التي ظهر فيها علم الكلام ماهي إلا تجليات لعصره وانعكاس لمدى التقدم الذي شهدته باقي العلوم، ومنذ العصر الذي تمت فيه موضوعات علم الكلام إلى وقتنا الراهن لم تشهد هذه الموضوعات أي تطور أو تغير طرأ عليها بالرغم من مرور قرابة عشرة

قرون، وأدنى نظرة في كتب السابقين من أئمة هذا العلم تشهد على جمود موضوعاته التي لم يتغير فيها شيء. حتى إن ما سطرته أقلام المعاصرين من كتابات ومؤلفات كلامية ليست إلا اجتراراً لما تركه الأوائل، ومن ثم كانت الحاجة ماسة وداعية لتجديد موضوعات علم الكلام التي غلب عليها الجمود والركود!

"نحن في حاجة إلى تجديد حديث في موضوعات ومسائل علم الكلام؛ لأن كثيراً من الموضوعات والمسائل لم يعد لها فائدة ولا جدوى من إثارتها وإعادتها اليوم، إذ قد أفرزتها ظروف تاريخية نتيجة الخلافات والجدل بين الفرق، واتصال المسلمين بغيرهم من الأمم وقد حملوا معهم أفكاراً تخالف الإسلام، فلم يعد هناك مبرراً لدراستها وبحثها وكم أثارت من فتن وسببت من محن فازدادت هوة الخلاف بين الفرق وألهت عن المشاكل الحقيقية التي يعيشها العالم الإسلامي، بل إن هناك مذاهب فكرية ومدارس كلامية قد انقرضت ودَرَست ولم يبقَ إلا اسمها ومن الفكر إلا رسمها، وظهرت مذاهب فكرية جديدة تحمل أفكاراً ومعتقدات جديدة، بعضها موجه ضد الإسلام"(١).

والتجديد في موضوعات علم الكلام يعني: إعادة النظر فيما له أولوية العناية والاهتمام، وما ينبغي أن يتناول؛ وذلك بالخروج من الحيز الضيق الذي لا يكاد يتجاوز مناقشة مسائل معلومة إلى نطاق واسع يستوعب القضايا الموجودة كافة في النصوص بعمومها وشمولها، بما يلائم المستجدات الطارئة، ويروي الغليل فيها، والتجديد في المسائل يعني: إنشاء مسائل جديدة، تستوعب الشبهات المستحدثة، ينجم عنها نمو وتطور علم الكلام نفسه"(٢).

---

(١) **تجديد علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة:** د. خالد عبد العال أحمد، ص ١٠.

(٢) **مداخل التجديد الكلامي:** عبد الكريم القلالي، مجلة نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد العاشر، ٢٠٢٠، ص ٧٧.

مر بنا الحديث أن التجديد في علم الكلام إبقاء وإلقاء وارتقاء، وهذا ما يجب علينا تطبيقه بعينه على موضوعات ومسائل علم الكلام، فإذا كنا بصدد الحديث عن تجديد موضوعات الكلام ومسائله فلابد لنا من التميز بين ما يصح أن تطاله يد التجديد ويمكن تغييره وبين ما يجب الإبقاء عليه كأصول الإيمان الثابتة، الذي يعتبر المساس بها تبديد للدين وضياع له وليس تجديد في علم الكلام، والتجديد في أصول الإيمان يكون بتجديد الأدلة عليها، والاستفادة مما تقدمه لنا العلوم الحديثة كالفيزياء وغيرها من اكتشافات تدل على وجود الخالق وتهدم نظرية الصدفة في وجود العالم، فمن "حيث القضايا والمسائل ثمة ثوابت لا يقوم الفكر العقدي بدونها، وهي أساسيات العقيدة الإسلامية فيما تقوم عليه من إيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر الإلهي خيره وشره، فهذه ستظل باقية ركناً ثابتاً في الفكر العقدي على مر العصور، لأنها من جهة تمثل ركائز الأيديولوجية الإسلامية التي تتفرع منها كل وجوه المنظومة الفكرية والسلوكية، وهي من جهة ثانية عرضة للتحدي الأيديولوجي في كل زمان مما يجعل الدفاع عنها أمراً سارياً بسريان التحدي"(١).

"ينبغي أن تكون محاولات التجديد في القضايا ... مشروطة بالحفاظ على ثوابت العقيدة، التي لا يصح التفريط فيها تحت أي مسمى، ولا حرجَ عندئذٍ من التجديد في وسائل الإقناع، وطرق العرض، وصور الاستدلال. ويتصل بذلك اتصالا وثيقاً ولاسيما إذا كان علم الكلام يقدم للمسلمين، أن تعود للدليل الشرعي المستقي من الكتاب والسنة مكانتهَ اللائقة به؛ لما للدليل الشرعي من خصائصَ، ولما يتحقق له من المزايا، فهو يتسم بالسهولة واليسر، ويبَعد عن التعقيد

(١) **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي:** عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ١٥٣.

والصعوبة، ويتحقق له القدرة على مخاطبة المستويات العقلية المتفاوتة، وربما أتى الدليل الشرعي، الذي هو عقلي أيضا، في آية واحدة أو جزء من آية"[1].

والإلقاء يكون بحذف بعض أو أغلب المسائل الفرعية المتولدة عن هذه الأصول الإيمانية والتخلي عنها، نظر لأنها كانت سبباً في إثارة الخلافات بين المسلمين وشق وحدة صفهم، علي سبيل المثال إذا نظرنا في موضوع السمعيات إلى مسألة إعادة المعدوم هل يعاد بعينه أم بمثله؟!

ما الفائدة التي ستعود على الدين والمكاسب التي سيحققها في تصديه إلى الإلحاد المعاصر – الذي يرفض الغيبيات جملة وتفصيلاً – بمثل هذه المسألة الفرعية وغيرها من المسائل التي ليست من جملة الأصول، ألا يكفى التدليل على البعث باستخدام ما يقدمه لنا العلم الحديث من أدلة تثبت صدق الدين في إثباته لقضية البعث؟ فلغة العلم هي التي يفهمها الملحد جيداً والمنطق الوحيد الذي يعترف به.

وما الفائدة الإيمانية التي سيجنيها المسلم المعاصر من الخلاف حول هذه المسألة؟ ألا يكفيه في إثبات البعث والتصديق به قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾(الحج –٥)، وقوله تعالى:

---

(١) **التجديد في العلوم الدينية علم الكلام أنموذجاً:** عبد الحميد عبد المنعم مدكور، أعمال المؤتمر العلمي الدولي: التعليم الديني النظامي الأساسي والمتوسط في ليبيا – التصورات وآليات التطبيق، زليتن، ليبيا، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣م، ص ٢٣.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾(يس – ٧٨ إلى ٨٢). و الآيات في هذه المسألة كثيرة!

وما ذكرناه في مسألة إعادة المعدم في موضوع السمعيات ينطبق بتمامه على مسألة الصفات في موضوع الإلهيات الذي "يتحقق التجديد فيه بحذف بعض الموضوعات...فمما ينبغي استبعاده موضوع الصفات وعلاقتها بالذات الإلهية، ذلك الموضوع الذي شغل المتكلمين وفاضت به كتبهم منذ نشأة العلم وحتى هذه الأيام، وظلت دراسته طوال هذه القرون تسير على وتيرة واحدة حيث تساءل المتكلمون عن العلاقة بين الذات والصفات، وهل الصفات عين الذات أو غيرها، أو هي هي ولا هي غيرها، وفرقوا بين الصفات من حيث نسبتها إلى الذات ونسبتها للفعل، ومن حيث القدم والحدوث، واختلفوا في ذلك كله اختلافاً كثيراً أدى إلى نشوء الكثير من البدع وأضعف من قوة المسلمين ورمى بعضهم بالكفر أو الفسوق والابتداع"(١).

إن مسألة الصفات متعلقة بالذات، والبحث في الذات الإلهية أمر لم نُؤمر به من الشارع؛ لأن كنه الذات والصفات فوق قدرة البشر وأكبر من مداركهم، يقول ابن خلدون: "إدراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق النّاس. والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم محيط. فاتّهم إدراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما أمرك الشّارع به من اعتقادك وعملك

(١) **تجديد علم الكلام بين في ضوء المعركة بين أنصاره وخصومه:** السيد رزق أحمد الحجر، مجلة كلية دار العلوم، العدد٣٦، ٢٠٠٥، ص١٤٨.

فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك لأنّه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينيّة لا كذب فيها. غير أنّك لا تطمع أن تزن به أمور التّوحيد والآخرة وحقيقة النّبوة وحقائق الصّفات الإلهيّة وكلّ ما وراء طوره فإنّ ذلك طمع في محال. ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الّذي يوزن به الذّهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك. على أنّ الميزان في أحكامه غير صادق لكنّ العقل قد يقف عنده ولا يتعدّى طوره حتّى يكون له أن يحيط باللَّه وبصفاته فإنّه ذرّة من ذرّات الوجود الحاصل منه"(١).

لسان حال المسلم المعاصر تجاه المسائل الخلافية عموماً ومسألة الصفات خصوصاً ينطق قائلاً: " لقد تعبنا في فهم مشكلة الذات والصفات، وهل الصفات عين ذاته – سبحانه – أو هي غير ذاته (ﷻ)؟ أو هي لا عين ولا غير؟ هذه مسألة قديمة وليست جديدة على الفكر؛ خلاف بين المتكلمين قديماً وحديثاً طال فيه الجدل وحمى فيه الوطيس، وشغلنا معه بالكلام فيه لكن دون جدوى"(٢).

وبالنسبة للارتقاء بموضوعات علم الكلام فيتمثل في الاستفادة من تطور العلوم واكتشافاتها – كما ذكرنا سابقاً – في صياغة أدلة جديدة على العقيدة، وإضافة موضوعات جديدة يفرضها الواقع والتي من شأنها الرد على الشبهات التي تثار حديثاً ضد الإسلام، يقول شبلي النعماني: "إن علم الكلام القديم يُعنى ببحث العقائد الإسلامية؛ لأن شبهات الخصوم كانت ترتكز على العقائد فقط، بينما يجري التأكيد هذا اليوم على الأبعاد الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية في الدين،

---

(١) **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، ص ٥٨٢.

(٢) **الشيخ محمد عبدة بين الفلاسفة والكلاميين، المقدمة:** د. سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٨، ص٣٤، ٣٦. نقلاً عن تجديد علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة: د. خالد عبد العال أحمد، ص ٩.

وتتمحور الشبهات حول المسائل الأخلاقية والقانونية من الدين، وليس حول العقائد، فإن الباحثين الأوروبيين يعدُّون الدليل الأقوى على بطلان الدين مسائل تعدد الزوجات، والطلاق، والرق، والجهاد. وبناءاً على ذلك سيدور البحث في علم الكلام الجديد حول مسائل من هذا القبيل، حيث تعد هذه المسائل من اختصاص علم الكلام الجديد"[1].

ثانيا: التجديد في لغة علم الكلام ومصطلحاته

اللغة هي نظام للتعبير عن الأفكار عن طريق النطق أو الكتابة، ومن خلالها يستطع أهل كل علم توصيل مرادهم إلى غيرهم ممن ليسوا منهم، مستخدمين ما تواطؤا عليه من مصطلحات، ولغة أي علم المتمثلة في مصطلحاته تعتبر من أركانه ومكوناته الأساسية، فإذا أردنا تطوير أي علم وجب علينا الأخذ في الاعتبار أن يد التطوير لابد وأن تطال لغته ومصطلحاته، ولطالما كانت لغة علم الكلام ومصطلحاته في نظر البعض ألغازاً، فلغة علم الكلام من جوانب علم الكلام الواجب علينا تجديدها إذا أردنا الارتقاء به.

في بداية الحديث عن تجديد لغة علم الكلام لابد أن ننبه على من الأهمية بمكان؛ أن لغة علم الكلام القديمة في عصرها قد حققت الغاية المنشودة منها، لذا نحن لا نريد أن نبخسها حقها، فقد أبلت بلاءاً حسناً في إثبات العقيدة والدفاع عنها ضد أعداء الدين من أصحاب الفلسفات القديمة، لذلك استخدم المتكلمون معهم نفس سلاحهم فكانت لغتهم ملائمة لطبيعة عصرهم، ولكن ذلك لا يبرر استخدام ذات اللغة ونفس الطريقة في عرض العقيدة في عصرنا الراهن فلكل

(١) **علم الكلام الجديد:** شبلي النعماني، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م ، ص ١٨١-١٨٢.

عصر لغته، "ولاشك أن الأسلوب يتغير من وقت لآخر، ومن هنا يجب علينا نحن المتكلمين تغيير لغة وألفاظ المخاطبة أو الكتابة.

كان المتكلمون يستخدمون مفردات وألفاظاً وأدلة تتناسب مع من يخاطبون في مستوى تفكيرهم، وعقولهم، أما اليوم فإن المتكلم المعاصر لو استخدم ألفاظا ومصطلحات متقدمي المتكلمين فإنه ربما لا يجد من يفهمه، لذا لابد للمتكلم المعاصر من الحديث بلغة تناسب عقول من يخاطبهم مستخدماً ألفاظاً متداولة تؤدى معنى الألفاظ القديمة إذ اللغة أحد أبعاد التطور في علم الكلام الجديد عند المشتغلين به"(١).

والتجديد الذي ننشده في لغة علم الكلام: "يتحقق بالانتقال من لغة المتكلمين القديمة، غوامضها وألغازها، إلى لغة حديثة تعبر بيسر وسهولة عن المضامين، ويفهمها المخاطب من دون عناء؛ ضماناً لأوقات وجهود تصرف في فهم مصطلح من أجل المصطلح؛ لذا لا بد أيضًا من تجديد المصطلحات، والنظر فيها؛ فبعضها استحدث في قرون خلت، ويمكن استبدال ما هو أيسر بها، ولا سيما تلك المصطلحات التي لا داعي لثبوتها، والتي قد تكون دخيلة أحيانًا؛ فيستبدل ما هو أصيل بها، والمتكلمون في العصور السابقة كانت تأثيرات المنطق الأرسطي عليهم واضحة والفلسفة اليونانية في أطروحاتهم حاضرة؛ وذلك كله يدعو إلى إعادة النظر في مصطلحات علم الكلام؛ لأن التجديد في المسائل، والموضوع، والهدف، والمناهج، واللغة، يتطلب تجديدًا في المصطلحات"(٢).

---

(١) **تجديد علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة:** د. خالد عبد العال أحمد، ص ١٤.

(٢) **مداخل التجديد الكلامي:** عبد الكريم القلالي، ص ٦.

منذ قرابة قرن من الزمان استشعر المفكر المسلم الأستاذ وحيد الدين خان قصور لغة علم الكلام القديم وعجزها عن القيام بدورها في الدفاع عن الدين ضد تحديات العصر فقال: فكلما أردنا مواجهة الأسئلة التي تثار ضد الدين، كان لابد من تغيير لهجتنا ولغتنا بتلك التي يستغلها الأعداء حتى نستطيع أن نقف أمام العواصف. وعلينا ألا ننسى أن طريقة الكلام وأسلوبه قد تغيرا بتغير الزمن، ولذلك علينا أن نأتي بعلم كلام جديد لمواجهة تحدى العصر الحديث"(١).

ما يعانيه الدارسون والباحثون من صعوبات في فهم وإدراك مفردات ومصطلحات علم الكلام القديم جعلتهم يروا أن "مقرر علم التوحيد والعقائد في كثير من الأوساط العلمية، أكثر صعوبة من مقررات الكيمياء والفيزياء والرياضيات"(٢)، لذا فإن يجب على القائمين على علم الكلام "أن يتم التعريف بالعقائد الإسلامية والبرهنة على صحتها، والرد على المخالفين لها من القدامى والمعاصرين بلغة ميسرة تتسم بالوضوح والسهولة، والبعد عن المصطلحات الصعبة المعقدة، وبخاصة تلك المجلوبة من فلسفات وثقافات أجنبية"(٣).

إن السهولة واليسر والوضوح من أبرز خصائص العقيدة الإسلامية، وما نراه من لغة يصعب على المسلم المعاصر فهمها جاءت من لغة المتكلمين وعلم الكلام لا من ذات العقيدة، لذا يجب على المهتمين بتجديد علم الكلام وتطويره أن يعودوا إلى طريقة القرآن الكريم في عرض العقيدة أسوة بسلفنا الصالح (ﷺ) ومن سلك مسلكهم من متقدمي المتكلمين؛ لأن "طريقة القرآن الكريم سهلة واضحة ملائمة للفطرة خالية من التعقيد؛ و القرآن الكريم هو كلام الله وهو

---

(١) **الإسلام يتحدى:** وحيد الدين خان، تحقيق د عبد الصبور شاهين، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٩٨٥، ص ٣٠.

(٢) **علم الكلام بين الأصالة والتجديد:** محمد خير حسن العمرى، ص ٢٤٨.

(٣) **التجديد في العلوم الدينية علم الكلام أنموذجاً:** عبد الحميد عبد المنعم مدكور، ص ١٨.

يخاطب الإنسان بالطريقة التي يعلم (ﷻ) أنها تؤثر فيه وتصل إلى أعماق قلبه وتهز مشاعره فيستجيب، وهي طريقة تخاطب القلب والعقل وتواجه النفس البشرية بما ينمي الفطرة ولا يكفلها عنتاً أو يفرقها مزَقًا، ومن ثم فإنها تعصم الفطرة من الاتجاه لغير الله. هذا وقد ترفعت طريقة القرآن عن أن تكون قضايا ذهنية مجردة كما هي طريقة الفلاسفة والمتكلمين، تلك الطريقة الجافة المعقدة المليئة بالاصطلاحات الغامضة والمقدمات الكبرى والصغرى، بل سلكت أقرب الطرق وأيسرها، فجاءت بأدلة موجزة مختصرة بليغة مفيدة للمقصود"(١).

إن التجديد في علم الكلام جاء نتيجة ظهور الكثير من الشبهات التي تمخضت عن تطور العلوم في واقعنا المعاصر، فإذا كان هذا هو سبب التجديد، فلابد لنا "من مواجهة الآراء والمذاهب والأفكار المعاصرة بلغة معاصرة وطرق متطورة تلائم العصر ومستوى التعليم والفهم عند الناس ... هذه مهمة يجب الاعتناء بها حتى يتحقق النجاح لمن يريد لديننا الفلاح"(٢).

وصفوة القول أنه بالرجوع إلى تاريخ العلوم عموماً وعلم الكلام خصوصاً، نجد العلماء وضعوا مؤلفاتهم باللغة التي يفهمها معاصروهم وتتلاءم مع أحداثهم، لهذا وجدنا علماء الكلام استفادوا من الفلسفة بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، فتجديد لغة علم في عصرنا الحالي أصبحت ضرورة ملحة حتى يجنى علم الكلام ثماره ويحقق الغاية المرجوة منه.

ثالثا: التجديد في مناهج علم الكلام

(١) **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم:** محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، الناشر مكتبة الرشد. بدون رقم للطبعة وبدون سنة الطباعة، ٣٤١.

(٢) **تجديد علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة:** د. خالد عبد العال أحمد، ص ١٤.

المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة(١). ومن المعلوم أن علم الكلام لم يقم على منهج واحد، فقد استخدم المتكلمون المنهج النقلي الذي يعتمد على النص الديني، والمنهج العقلي الذين يقوم على المنطق والقياس الأرسطي بالإضافة إلى المنهج الجدلي الذي يقوم على إبطال نتائج الخصم انطلاقاً من البديهيات أو مقدمات مسلمة لدي الطرفين، فالمنهج الجدلي "يتسلَّم مقدمات ويستنتج منها نتائج، وتسمى هذه الطريقة التمانع أو إبطال اللازم بإبطال الملزوم، فالمتكلم يبدأ من أقوال الخصوم ثم يصل عن طريق البرهان إلى نتائج تناقض هذه الأقوال فتبطلها، أي يحاول إبطال النتائج فيكون هذا كافياً لإبطال المقدمات التي تقدم بها الخصوم"(٢).

والمنهج الجدلي لا يعتمد في إقامة الدليل على القضية انطلاقاً من صدقها في ذاتها، وإنما اعتماده يقوم على إبطال رأى الخصم، وهذا المنهج وإن جاء متأخراً عن نشأة علم الكلام إلا كثرة استخدام المتكلمين له واعتمادهم جعله من السمات البارزة فيه، فهذا "المنهج الذي استخدمه الفكر الكلامي بعد القرن الخامس أصبح منهج لا يلائم عقلية اليوم، إذ هو منهج مبني على المنطق الصوري في أساسه، وهو منطق لا يهتم بالواقع وإنما ترتبط الحقيقة فيه بتناسق المعطيات المجردة فيما بينها وإن خالفت الواقع. ولا زالت آثار هذا المنهج باقية

(١) **مناهج البحث العلمي:** عبد الرحمن بدوى، طبعة وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧، ص ٥.

(٢) **تجديد مناهج البحث في علم الكلام الإسلامي:** الزبير طهراوي، فاروق خلف، حوليات جامعة الجزائر، مجلد ٣٥، العدد ١، ٢٠٢١، ص ٤٨٩.

عند شق من المنتسبين إلى الفكر الإسلامي إما بصفته الأصلية أو بصفة جديدة حافظ فيها على الطابع التجريدي العام"[١].

من الجائز أن استخدام المتكلمين للمنهج الجدلي وتفضليه على غيره من المناهج قديماً كان سبب في نجاحه لأداء مهامه المنوطة به؛ لأنه كان أكثر المناهج التي تناسب واقعهم وحال خصومهم، أما حديثا فالحال مختلف وواقعنا مغاير، والشبهات التي تطل علينا برؤوسها في حاضرنا لا يتناسب معها المنهج الجدلي؛ لأنها مغايرة للشبهات التي واجها قدامى المتكلمين، فعلى سبيل المثال: "المتكلمون قد حاولوا الاستدلال على وجود الله بدليلي الحدوث والإمكان، والاستدلال على وحدانيته تعالى بدليل التمانع، لكننا في زماننا هذا سنكون مبالغين إذا اعتبرنا تلك الأدلة كافية في الاستدلال على الملحدين الذين يدَّعون العلمية في إلحادهم، لا من حيث صورة الاستدلال، ولا من حيث مادته...لأن المخالفين في التوحيد اليوم لهم استدلالات أخرى من جنس ما أنتجته العلوم في هذا الزمان، سواء أكانت علوماً إنسانية أم علوماً طبيعية، فتعين على المعتنين بعلم الكلام الانفتاح على هذه العلوم، ومناهج الاستدلال فيها، بغية تكوين مرجع مشترك يحتكم إليه عند الاختلاف"[٢].

إن الشبهات والتحديات التي يفرضها علينا الواقع توجب علينا تجاه مناهج علم الكلام "تطويرا في المنهج والأدلة...فلا يمكن مواجهة مقولات الماديين والملاحدة المعاصرين ودعاوي المستشرقين، وآراء الماركسيين والوجوديين والعلمانيين والعولميين ومقالات الحداثيين، وما بعد الحداثيين وأمثالهم بنظريات

(١) **واقعية المنهج الكلامي ودورها في مواجهة التحديات الفلسفية المعاصرة:** عبد المجيد النجار، مجلة المسلم المعاصر، مصر، مجلد ١٥، العدد ٦٠، ١٩٩١، ص ١٦١.

(٢) **ضرورة تحديث علم الكلام ومستوياته:** ياسين السالمي، ص١٢٨.

الجوهر الفرد، ودليل الممكن والواجب، والطبيعيات القديمة الموروثة عن اليونان؛ بل لابد من مواجهة الآراء والمذاهب المعاصرة...وطرق متطورة تلائم هذه الأفكار وتناسبها"[١].

ذكرنا غير مرة أن العقيدة الإسلامية ثابتة لا تغير فيها، وإنما التغير في المناهج التي نقوم بإثبات العقيدة بها؛ بتشييد البراهين ودحض الشبة، والسبب في تغيير المناهج يعود إلى أن طبيعية المخاطبين تتغير بتغير الزمان، "إن مناهج نصرة العقيدة مرتبطة بالمخاطبين من الذين يراد إثبات العقيدة لهم أو رد الشبهة التي يوردونها أو ترد عليهم. وهؤلاء المخاطبين سواء كانوا من المنتسبين إلى الإسلام أو من غيرهم تتغاير عقلياتهم وثقافتهم ومكوناتهم الفكرية من عصر إلى عصر بحسب ما يطرأ على المجتمعات من تطورات علمية وثقافية وفكرية، وحينئذ فإنه ينبغي أن يكون المنهج الذي تقدم به إليهم العقيدة الإسلامية مبنياً على ما به يكون إقناعهم بحسب أحوالهم في الفهم والإقناع، وهي الأحوال المتغيرة مما يحتم التغيير والتجديد في المنهج"[٢].

الواجب على المسلمين عموماً وعلي المتكلمين خصوصاً العمل على نصرة الدين والدفاع عنه بشتى الطرق والوسائل المتاحة مستخدمين في ذلك المناهج المختلفة والتي تتناسب مع مستجدات العصر ففي "مقام الدفاع عن الدين يمكن الاستفادة من كل منهج معتبر كالمنهج التجريبي أو التاريخي. فعلى سبيل المثال، يمكن للمتكلم أن يستفيد من النتائج القطعية لعلم النفس والفيزياء

(١) **التجديد في العلوم الدينية علم الكلام أنموذجاً:** عبد الحميد عبد المنعم مدكور، ص ١٣٢.

(٢) **الحاجة إلى التجديد في علم الكلام:** يوسف القسطاسي، ص ٣٦٤.

والكيمياء، بل من الأساليب الإحصائية والدراسات الميدانية أيضاً إن كانت تصب في إطار بيان تعاليم الدين وإثباتها والدفاع عنها"(١).

إن الوقف عند حدود المنهج الجدلي المستخدم في علم الكلام على مدار عشرة قرون خلت جمود ما بعده جمود! ولكسر هذا الجمود لابد للباحثين في علم الكلام والقائمين عليه أن يراعوا تطور المناهج؛ لأن "المناهج في نهاية المطاف تتطور في نوعية الخطاب العقلي مع تطور المخاطبين من جيل إلى جيل؛ لأن أجيال المجتمعات الإسلامية في نهاية القرن الماضي وأوائل هذا القرن كانت دون الأجيال اللاحقة التي أعقبتها من حيث التأثر بالفكر الأوروبي، وبالفكر الوضعي، الفلسفي، والاجتماعي، والسياسي؛ فما كان ملائمًا لمخاطبة جيل الانبعاث لم يعد ملائمًا لخطاب جيل عصر النهضة"(٢).

"في القرنين التاسع عشر والعشرين شهد العالم تطورات معرفية كبيرة ... فتطورت المناهج الخاصة للتثبيت من صحة المعلومات التي يتم الوصول إليها، فتطورت المناهج العلمية تطوراً كبيراً، وبات لكل مجال من مجالات المعرفة منهجه الخاص به، فبرزت مناهج لم تكن معروفة سابقاً، من قبيل المنهج الهرمنوتيكي (hermenutik)، الذي يُعنى بتفسير النصوص وفقاً للخلفية الثقافية للمتكلم، أو منهج علم الدلالة المسمى بالسيمياء (semantik) الذي يُعنى بدراسة الدلالات بأنواعها، وكيفية دلالتها على مداليلها، أو علم الظواهر المسمى بالفينومونولجى (phenomenology) الذي يتولى دراسة الظواهر وتحليلها لفهم مضامينها"(٣).

---

(١) **علم الكلام الإسلامي دراسة في القواعد المنهجية:** رضا برنجكار، ترجمة حسنين الجمال، الناشر مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ٢٥.

(٢) **مداخل التجديد الكلامي:** عبد الكريم القلالي، ص ٧.

(٣) **علم الكلام الجديد:** إبراهيم البدوي، ص ٧٧.

وصفوة القول إن المنهج الجدلي المتبع قديماً في علم الكلام جعله يقف عاجزاً عن نصرة الدين أمام ما يعصف به من شبهات تثار من أدعياء الحداثة والعلمانيين وأتباع التيارات المنحرفة التي أفرزتها الحضارة الغربية، لذلك فإن تجديد المناهج المستخدمة في علم الكلام أصبح ضرورة حتمية نظراً لطبيعة واقعنا المعاصر، وكذلك حال المخاطبين، فضلاً عن الشبهات المستحدثة خصوصاً بعد التقدم المذهل في العلوم وما صاحبها من تطور في المناهج.

الخاتمة

إن التجديد في علم الكلام من الدعوات الأمور المستحدثة في فكرنا المعاصر ألجأتنا إليها تداعيات العصر، نظراً لتقدم العلوم الطبيعية و ظهور بعض التيارات التي من شأنها أن تثير الشبهات حول عقيدتنا الإسلامية، والدعوة إلى التجديد وليدة النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

التجديد في علم الكلام لا يعنى إهمال علم الكلام القديم أو قطيعته وتركه، فهو ليس إلا امتداداً له في التعريف والموضوع والأهداف.

التجديد المنشود في علم الكلام يعنى تخليصه من العوالق التي علقت به على مدار أكثر من ألف عام، وإظهاره بصورة تتناسب مع مستجدات العصر، حتى يتسنى له القيام بدوره المنوط به كمنافح عن العقيدة الإسلامية في وجه كل مغرض، وخصوصاً في عصرنا الراهن الذي تموج فيه شبهات الإلحاد والهجمات التي تبغي النيل من المسلمين ومن دينهم.

يجب علينا تجديد موضوعات ومسائل علم الكلام؛ لأن كثيراً من الموضوعات والمسائل لم يعد لها فائدة ولا جدوى من إثارتها وإعادتها اليوم، إذ قد أفرزتها ظروف تاريخية نتيجة الخلافات والجدل بين الفرق، واتصال المسلمين بغيرهم من الأمم وقد حملوا معهم أفكاراً تخالف الإسلام، فلم يعد هناك مبرراً لدراستها وبحثها.

يجب على القائمين على علم الكلام أن يتم التعريف بالعقائد الإسلامية والبرهنة على صحتها، والرد على المخالفين لها من القدامى والمعاصرين بلغة ميسرة تتسم بالوضوح والسهولة، والبعد عن المصطلحات الصعبة المعقدة.

المنهج الجدلي المتبع قديماً في علم الكلام جعله يقف عاجزاً عن نصرة الدين أمام ما يعصف به من شبهات تثار من أدعياء الحداثة والعلمانيين وأتباع

التيارات المنحرفة التي أفرزتها الحضارة الغربية، لذلك فإن تجديد المناهج المستخدمة في علم الكلام أصبح ضرورة حتمية نظراً لطبيعة واقعنا المعاصر، وكذلك حال المخاطبين، فضلاً عن الشبهات المستحدثة خصوصاً بعد التقدم المذهل في العلوم وما صاحبها من تطور في المناهج.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانياً: السنة المطهرة

١- **الإسلام يتحدى:** وحيد الدين خان، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٩٨٥م.

٢- **الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين:** د. محمد عمارة، دار الوحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٣- **أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد:** يمنى طريف الخولي، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ٢٠١٤م.

٤- **الإيمان بالله وأثره في الحياة:** عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.

٥- **تجديد الفكر الإسلامي:** حسن الترابي، دار القرافي للنشر والتوزيع، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٦- **تجديد الفكر الديني في الإسلام:** محمد إقبال، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الكتاب اللبناني، بدون رقم للطبعة، ٢٠١١م.

٧- **التجديد المنهجي في علم الكلام الإسلامي:** حيدر محب، مجلة الحياة الطيبة، بيروت، العدد السادس عام ٢٠٠١م.

٨- **تجديد علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة:** د. خالد عبد العال أحمد، طبعة خاصة بالمؤلف، ٢٠١٩م.

٩- **تجديد علم الكلام بين في ضوء المعركة بين أنصاره وخصومه:** السيد رزق أحمد الحجر، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٣٦، ٢٠٠٥م.

١٠- **التجديد في العلوم الدينية علم الكلام أنموذجاً:** عبد الحميد عبد المنعم مدكور، أعمال المؤتمر العلمي الدولي: التعليم الديني النظامي الأساسي والمتوسط في ليبيا – التصورات وآليات التطبيق، زليتن، ليبيا، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣م.

١١- **تجديد مناهج البحث في علم الكلام الإسلامي:** الزبير طهراوي، فاروق خلف، حوليات جامعة الجزائر، مجلد ٣٥، العدد ١، ٢٠٢١م.

١٢- **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية:** مصطفى عبد الرازق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

١٣- **الحاجة إلى التجديد في علم الكلام:** يوسف القسطاسي، مجلة ذخائر للدراسات الإنسانية الناشر مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، المغرب، العدد السابع، ٢٠٢٠م.

١٤- **الحيوان:** عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

١٥- **دراسات في الفكر الديني:** الشيخ: محمد الشقير، دار الهادي للطباعة والنشر و التوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٦- **رسالة التوحيد:** الشيخ: محمد عبده، الناشر محمد على صبيح، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ١٩٦٥م.

١٧- **الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين، المقدمة:** د. سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

١٨- **صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري،** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة

١٩- **ضرورة تحديث علم الكلام ومستوياته:** ياسين السالمي، مجلة إسلامية المعرفة، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٩٠، ٢٠١٧م.

٢٠- **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم:** محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، الناشر مكتبة الرشد. بدون رقم للطبعة وبدون سنة الطباعة.

٢١- **عقيدة المسلم:** الغزالي محمد، دار نهضة مصر، الجيزة، القاهرة الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

٢٢- **علم الكلام الإسلامي دراسة في القواعد المنهجية:** رضا برنجكار، ترجمة: حسنين الجمال، الناشر مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢٣- **علم الكلام الجديد دراسة في المفهوم والمنهج:** يونس ريحان، المجلة الدولية الأردنية أريام للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثالث، العدد الثالث، ٢٠٢١م.

٢٤- **علم الكلام الجديد في إيران:** رشيد سعدى، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٨م.

٢٥- **علم الكلام الجديد نشأته وتطوره:** إبراهيم البدوي، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

٢٦- **علم الكلام الجديد وتجديد الخطاب الديني آفاق التجديد في فلسفة أمين الخولي:** يمنى طريف الخولي، بحث منشور بموقع "معنى" على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٧ أكتوبر ٢٠٢٢، (https://mana.net/١٠٦٤٤).

٢٧- **علم الكلام الجديد:** شبلي النعماني، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠١٢م.

٢٨- **علم الكلام الجديد:** عبد الجبار الرفاعي، الناشر مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢٩- **علم الكلام بين الأصالة والتجديد:** محمد خير حسن العمري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد ٣/أ، ٢٠٠٩م.

٣٠- **علم الكلام ضرورات النهضة ودواعي التجديد:** عبد الجبار الرفاعي، مجلة الحياة الطيبة، لبنان، بدون بيانات.

٣١- **علم الكلام وبعض مشكلاته:** أبو الوفا الغنيمي التفتازانى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون سنة الطباعة ورقم للطبعة.

٣٢- **فيلسوف القرآن محمد عبد دراز:** محمد مختار الشنقيطي، دار المشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٣٣- **الكلام الإسلامي المعاصر:** عبد الحسين خسروبناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٣٤- **الكلام المعاصر وضرورة الانتقال من الإيديولوجيا إلى الأبستمولوجيا:** قاسم شعيب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٨م.

٣٥- **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، بدون سنة الطباعة.

٣٦- **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي:** عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٣٧- **مختار الصحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان، بيروت، بدون رقم للطبعة، ١٩٩٥م.

٣٨- **مداخل التجديد الكلامي:** عبد الكريم القلالي، مجلة نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد العاشر، ٢٠٢٠م.

٣٩- **المدخل إلى دراسة علم الكلام:** حسن محمود الشافعي، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

٤٠- **مدخل إلى علم الكلام:** محمد صالح محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ٢٠٠١م.

٤١- **مقدمة بن خلدون:** عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: د. على عبد الواحد وافى، الناشر لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية، بدون سنة الطباعة.

٤٢- **من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد:** محمد الهادي زيان:، الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤٣- **مناهج البحث العلمي:** عبد الرحمن بدوى، طبعة وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

٤٤- **مناهج البحث عند مفكري الإسلام:** على سامي النشار، الناشر دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م.

٤٥- **المواقف:** عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٤٦- **نجاح لعور/ سهير لعور:** مجلة الأهواز لدراسات علم اللغة، العدد الرابع، المجلد الثاني، ٢٠٢٢م.

٤٧- **الهندسة المعرفية للكلام الجديد:** أحمد قراملكي، ترجمة: حيدر نجف وحسن العمرة، دارى الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٤٨- **واقعية المنهج الكلامي ودورها في مواجهة التحديات الفلسفية المعاصرة:** عبد المجيد النجار، مجلة المسلم المعاصر، مصر، مجلد ١٥، العدد ٦٠، ١٩٩١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٢٠٣
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٠٤
المقدمة	٢٠٥
المبحث الأول: معنى التجديد ووقت ظهور الدعوة إلية	٢٠٨
المبحث الثاني: إشكاليات التجديد في علم الكلام	٢١٥
المبحث الثالث: دواعي التجديد في علم الكلام	٢٢٢
المبحث الرابع: مجالات التجديد	٢٣٤
الخاتمة	٢٤٩
المصادر والمراجع	٢٥١
فهرس الموضوعات	٢٥٦